Journal of Alasmarya University
Volume 25, December 2015

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الخامس والعشرون، ديسمبر 2015

الجمع بين اسم (الله) وما يدل على صفاته في الشعر الجاهلي

د. محمد سليمان عبد الحفيظ*

إذا كان الشعر في جوهره هو التعبير الجميل عن الأحاسيس والمشاعر والأفكار والتصورات، والتأثير فيها، فإن هذا التعبير مرتبط بثقافة الشاعر وثقافة المتلقين، وهؤلاء جميعاً ينتمون إلى مجتمع له ثقافته السائدة؛ فلكل مجتمع ثقافة، ولكل ثقافة مجتمع، فهما شيئان لا وجود لأحدهما دون الآخر، مهما كان حجم أو وضع هذا المجتمع، ومهما كان نوع أو مستوى هذه الثقافة.

والثقافة ليست شيئا محدداً وواضحاً في جميع الأحوال، أو أنها تمثل جانباً واحداً من جوانب الحياة، وإنما هي «كلٌ مركبٌ متداخلٌ متشابك، يشمل جميع جوانب الحياة المادية والمعنوية، الواضحة والضمنية، الشعورية واللاشعورية، القديمة والحديثة، المتحضرة والبدائية، المعقدة والبسيطة، فهي نتاج تفاعل الإنسان مع محيطه الذي تراكم عبر السنين والأجيال»[1].

وللثقافة العديد من المكونات التي هي فروع الثقافة وأقسامها الرئيسة المتعارف عليها؛ كاللغة، والدين، والفن، والأساطير، والمعرفة العلمية، والنسق الاجتماعي، وغيرها[2]. والمكون الديني للثقافة، لا يقتصر على جانب العقيدة، أو

---

* الجامعة الأسمرية.

1- أثر المكونات الثقافية في بناء الصور البلاغية، محمد سليمان عبد الحفيظ، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1430هـ - 2009م، ص12.

2- ينظر: الثقافة والشخصية، سامية حسن الساعاتي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 1422هـ - =

جانب الممارسات الفعلية، وإنما يشمل المعتقدات والمفاهيم والتصورات والعناصر والرموز الدينية، كما يشمل الطقوس والممارسات التي يمارسها أبناء المجتمع على أساس التعبد أو التقرب إلى المعبود، أو على أساس الامتثال لأوامر الدين ونواهيه[3].

والعرب في العصر الجاهلي، وبخاصة في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام، يغلب عليهم طابع الأمية والبداوة والمشافهة في نقل أخبارهم ومعارفهم، وفي التعبير عن آرائهم وتصوراتهم بشأن الله والإنسان، والحياة والموت؛ ولهذا كان شعرهم من أهم مصادر معرفة أحوالهم وثقافتهم، فقد كان «ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون»[4]، قال بشأنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه»[5].

والعرب في ذلك العصر، على الرغم مما شاع عنهم من أنهم عبدة أصنام وأوثان، فإنهم في حقيقة الأمر لم يكونوا على ملة واحدة، أو دين واحد، فقد شاعت بينهم -وبدرجات متفاوتة- العديد من الديانات؛ كالوثنية، والحنفية، والنصرانية، واليهودية، والمجوسية، وغيرها؛ فكان منهم عبدة الأوثان والأصنام، ومنهم الموحدون، ومنهم عبدة الشمس أو القمر أو الكواكب، ومنهم عبدة الملائكة، ومنهم عبدة النار، ومنهم من تزندق، أو قال بالدهر[6].

واسم الجلالة (الله) هو الاسم الذي سمى الله به نفسه، حيث قال في محكم كتابه: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: 30]. وما عداه من الأسماء الحسنى

=

2002م، ص96.

3- ينظر: أثر المكونات الثقافية في بناء الصور البلاغية، ص18.

4- طبقات فحول الشعراء، الجمحي (أبو عبد الله محمد بن سلاَّم) قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د. ت، 24/1.

5- نفسه، 24/1.

6- ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الألوسي (السيد محمود شكري) عني بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، 194/2-244. وأديان العرب في الجاهلية، محمد نعمان الجارم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1426هـ - 2006م، ص155-263.

تابعة إليه على سبيل الوصف، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180].

فهو الاسم المفرد والعلم لذاته القدسية، الجامع لجميع الصفات الربوبية والحياة الأزلية، الذي لا يسمى به أحد من خلقه لا حقيقة ولا مجازاً[7].

وانقسم العلماء بشأن حصر أسماء الله الحسنى ودخولها تحت عدد معين إلى فريقين: الأول: قال بعدم حصر أسماء الله الحسنى، وعدم تحديدها بعدد؛ لأن منها من استأثر الله به في علم الغيب عنده ولم يطلعه على أحد من عباده، وهو القول الصواب، وبه قال جمهور العلماء. الثاني: قال بحصر أسماء الله الحسنى في عدد معين، وهذا الفريق اختلف في العدد الذي حدد به أسماء الله تعالى؛ فمنه من قال: إنها ثلاثمائة، ومنه من قال: هي ألف اسم، ومنه من قال: ألف وواحد، ومنه من قال: أربعة آلاف، ومنه من قال: هي مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، ومنه من قال: إن أسماء الله تعالى تسعة وتسعون فقط[8].

وهذه التسعة والتسعون اسما، هي أشهر أسماء الله، وأكثرها شيوعاً بين الناس، لورودها في حديث النبي ﷺ، الذي رواه ابن ماجة[9]، والترمذي[10]، وابن حبان[11]، والبيهقي[12].

7- ينظر: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، جمع وترتيب: أحمد عبد الجواد. قرأه: فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ - 2001م، ص15.

8- ينظر: منهج الإمام ابن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى، مشرف بن علي الغامدي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1426هـ - 2005م، ص199-200.

9- ينظر: سنن ابن ماجة (أبوعبد الله محمد بن يزيد) صححه ورقمه وأخرج احاديثه وعلّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت، باب أسماء الله ﷻ، حديث رقم 3861، 2/1269-1270.

10- ينظر: سنن الترمذي، الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة) تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 1426 هـ - 2005م، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدماء، حديث رقم 3507، 5/353-354.

11- ينظر: صحيح ابن حبّان بترتيب بن بلبان الفارسي (علاء الدين علي) حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1418هـ-1997م، كتاب =

وصفات الله ﷻ على مذهب أهل السنة والجماعة أكثر من أسمائه. ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفات ثلاثة أوجه: الأول: التصريح بالصفة، والثاني: تضمن الاسم للصفة، والثالث: التصريح بوصف أو فعل دال عليها؛ أي أن باب الصفات أوسع من باب الأسماء، فما صحّ اسماً صحّ صفةً، وما صحّ صفة فليس شرطاً أن يصحّ اسما، فقد يصح وقد لا يصح[13].

ودفعت كثرةُ ورود اسم الجلالة في الشعر الجاهلي بعضَ المستشرقين من أمثال (نولدكّه) إلى الادعاء بأن رواة الشعر في الإسلام، هم الذين أدخلوا اسم الجلالة في الشعر الجاهلي، وذلك بحذف أسماء الأصنام منه، وإحلال محلّها اسم (الله)، حتى بدى ذلك الشعر وكأنه لشعراء موحدين، وهو ادعاء ينتابه شيء من التكلف، إذ ليس « كل شعر فيه اسم الأصنام بصالح لقبول الجلالة، فقد لا يستقيم من حيث الوزن أو المعنى لإدخال تلك اللفظة في موضع اسم الصنم، ثم إن من الشعر الجاهلي المروي في الإسلام ما بقي محافظاً على اسم الصنم دون أن يمس ذلك الاسم بسوء، ولو كان من عادة الرواة حذف اسم الأصنام عامة، لما تركوا لها بقية في الشعر، ثم ما هي الفائدة التي يجنيها الرواة من طمس أسماء الأصنام وهم يعلمون أن أهل الجاهلية كانوا وثنيين يدينون بالأصنام »[14].

بينما دفعت هذه الكثرة -إضافة إلى ورود بعض عناصر ومظاهر الديانة النصرانية- الأب لويس شيخو إلى اعتبار عدد كبير من شعراء الجاهلية -حوالى (58) شاعراً- من شعراء النصرانية في العصر الجاهلي[15]. وحتى وإن سلّمنا

الرقائق، باب الأذكار، حديث رقم 808، 3/88-89.

12- ينظر: الأسماء والصفات، البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين) حقق نصوصه وخرّج أحاديثه: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ - 1997م، 1/22-23.

13- ينظر: الصفات الإلهية: تعريفها، أقسامها، محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1422هـ-2002م، ص15-18، ص40.

14- المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، د. م، د. ت، 6/115.

15- ينظر: شعراء النصرانية في الجاهلية، جمعه ووقف على تصحيح طبعته الأولى: الأب لويس شيخو، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ت، 1/1، وما بعدها.

باعتناق بعضهم الديانة النصرانية، فإن عدد معتنقيها لا يصل إلى هـذا الحـد، وكثـرة ورود اسم الجلالة في شعرهم ليس دليلاً على اعتناقهم النصرانية، وإنمـا لـه أسـباب متعددة، وما جاء في شعرهم من مظاهر وعناصر ثقافة الديانة النصرانية، معظمـه لا يتجاوز الوصف الخارجي لها، ولا يعبّر عن الإيمان بقيم الديانة النصرانية.

أما ظن بعض المستشرقين من أن (الله) هو اسم صنم كان بمكـة، أو أنـه إلـه أهل مكة[16]. فهو إلى الوهم أقرب منه إلى الظن، لأنه لا يقوم على دليل، ولا يقبـل به العقل، فمعظم الشعراء الذين ورد في شعرهم اسم الجلالة لا ينتمـون إلى قـريش القاطنة بمكة، وثقافة الإنسان العربي في ذلـك العصـر وعصـبيته القبليـة تمنعـه مـن تعظيم إله قبيلة أخرى، لا علاقة له به.

وصـفات الله الـتي جمـع الشـعراء الجـاهليون بينهـا وبـين اسـم الجلالـة في شعرهم، هي صفات الكمال الثبوتية فقط؛ الذاتية والفعلية، أما صـفات الـنقص، أمـا غيرها من الصفات، فلم أقف على أحد من شعراء الجاهلية ذكر شـيئاً منهـا مقترنـاً باسم الجلالة.

أولاً: صفات الكمال الثبوتيّة الذاتية

من صفات الكمال الثبوتية الذاتية التي أقرّ بها الشـعراء الجـاهليون، وجمعـوا بينها وبين اسم الجلالة في شعرهم، بطريق الإسناد أو الإضافة أو الوصف:

1. الرّبوبية

هي صفة من صفات الله، مشتقة من اسمه تعالى (الربّ)، الثابـت في الكتـاب والسنة، قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحـة: 2]، وهـو مـن الأسمـاء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه[17]. ومن أسماء الله الحسنى في الرواية الـتي تفرّد بها عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان لحديث الأسماء[18].

16- ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 24/6.
17- ينظر: الأسماء والصفات، 122/1-123.
18- ينظر: نفسه، 26/1.

والرَّبُّ كما جاء في اللسان «هو الله ﷻ، هو ربّ كلّ شيء أي مالكه، وله الرّبوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو ربُّ الأَربابِ، ومَالك الملك والأملاك ... الرَّب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبّر، والمربّي، والقيم، والمنعم»[19].

والربوبية من الصّفات التي وُصف بها الله في الشعر الجاهلي في مثل قول حاتم الطائي:

سقى اللهُ ربُّ النَّاسِ سَحّاً وديمَةً جَنُوبَ السَّراةِ من مَآبٍ إلى زُغَرْ[20]

وقول شتيم بن خويلد:

لا يبعدُ اللهُ ربُّ الْعبَا دِ والملحَ ما ولدتْ خالِدهْ[21]

فحاتم الطائي وصف الله حين دعاه بالسقيا لتلك المواضع التي ذكرها، بأنه ربُّ الناس، وشتيم بن خويلد وصفه برب العباد حين دعاه بألا يبعد بني خالده، وربُّ الناس، أو ربُّ العباد، يعني أنه مالكهم، وسيّدهم، ومدبّر أمرهم، ومربيّهم، والقائم على حفظهم، والمنعم عليهم بشتى النعم، أي أنه متصف لديهم بصفة الربوبية.

2. الوحدانية

وحدانية الله، هي صفة من صفات كماله الثبوتية الذاتية، تعني الوحدانية في الألوهية والربوبية، وهي صفة مشتقة من اسم الله (الواحد) الذي يتبع إثبات

19- لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ -1994م: (ربب).

20- ديوانه، دار صادر، بيروت، 1401هـ - 1981م، ص56. السّح: المطر الغزير، الديمة: السحابة يدوم مطرها، السّراة: مواضع في بلاد العرب فيها جبال وقرى، مآب: بلدة بالبلغاء، زغر: بلدة بالشام.

21- كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ - 1984م، 403/1. الملح: الرضاع، خالده: امرأة من فزارة هي أم الممدوحين.

وحدانيته، ومن اسمه (الأحد)، الذي يتبع نفي التشبيه عنه جلّ وعلا[22]، قال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: 16]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1-4]. واسم (الواحد) هو من أسماء الله الحسنى الواردة في حديث النبي ﷺ.

ومما يدل على هذه الصفة، وجاء مقترناً بلفظ الجلالة عند الجاهليين، قول عبيد بن الأبرص:

واللهُ لـــيسَ لـــهُ شـــريكٌ عـــلاَّمُ مـــا أخْفـــتِ القلـــوبُ[23]

وقول قس بن ساعدة:

كـــلاَّ بـــلْ هـــوَ اللهُ إلـــهٌ واحـــدٌ لـــيسَ بمولـــودٍ ولاَ والـــدِ[24]

وقول زيد بن عمرو بن نفيل:

وإيـــاك لا تجعـــل مـــع الله غـــيره فـإن سـبيل الرشـد أصـبح باديـا[25]

فالله في بيت عبيد بن الأبرص لا شريك له في الألوهية والربوبية، عالم بما أخفت القلوب، وهو في بيت قس بن ساعدة إله واحد لا مولود له ولا والد، وفي بيت زيد بن عمرو بن نفيل واحد لا ندّ له ولا شريك؛ أي أنهم نفوا أن يكون له ندّ، أو شريك، أو ولد.

وورود ما يدل على صفة الوحدانية، لا يدل على أن العرب في الجاهلية كانوا جميعاً يدينون بالتوحيد، وإنما يدلّ على أن منهم من كان يوحّد الله، ويقرّ له بصفة الوحدانية، من بينهم أصحاب هذه الأبيات. قال الرسول ﷺ عن زيد بن عمرو

22- ينظر: الأسماء والصفات، 1/36-37، 61-62.

23- ديوانه، تقديم وشرح وتعليق: محمد حمود، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 2000م، ص15. علاّم: عالم.

24- الملل والنحل، الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) تقديم وإعداد: عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1977م، ص583.

25- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 2/250.

بن نفيل: «يأتي يوم القيامة أمّةً وحده»[26]. وقال عن قسّ بن ساعدة: «يرحم الله قسًّا، إني لأرجوا أن يبعث يوم القيامة أمّة وحده»[27]. أما عبيد بن الأبرص، فقد عدّه الألوسي ممن كان على دين من العرب في الجاهلية[28].

3. الحمد

الحمد هو الشكر والثناء، وحمد الله: «الثناء عليه، ويكون شكراً لنعمه التي شملت الكل، والحمد أعمّ من الشكر»[29].

والحمد من الصفات الذاتية الثابتة، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1].

وهي من الصفات التي أقرّ بها الشعراء الجاهليون، وأضافوها إلى اسم الجلالة في شعرهم في أغراض مختلفة. يقول قسّ بن ساعدة واعظاً:

الحمدُ للهِ الّذِي لمْ يَخلقِ الخلقَ عَبَثْ[30]

ويقول سلمة بن الخرشب عن مذهبه في الحبّ:

فإنْ تُقبلْ بمَا عَلِمتْ فَإنيِّ بحمدِ اللهِ وَصَّالٌ صَرومُ[31]

ويقول أبو جندب يُغيظ بني لحيان:

26- كتاب الأغاني، الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين) تحقيق وإشراف: نخبة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت، ط5، 1401هـ - 1981م، 121/3.

27- نفسه، 193/15.

28- ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 281/2.

29- لسان العرب: (حمد).

30- شعراء النصرانية في الجاهلية، 216/2.

31- منتهى الطلب من أشعار العرب، ابن ميمون (محمد بن المبارك بن محمد) تحقيق وشرح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 1999م، 393/2. وصّال صروم أي: يصل من وصله ويقطع من قطعه.

لقــدْ أمســتْ بَنُــو لِحيــانَ مِنِّــي بِحمــدِ اللهِ فِــي خِــزْيٍ مُــبينِ[32]

فقس بن ساعدة يحمد الله ﷻ الذي خلق الخلق لغاية، ولم يخلقهم عبثا، وسلمة بن الخرشب يحمد الله على أنّ مذهبه في الحبِّ قائم على أساس وصل من وصله، وقطع من قطعه، أما أبو جندب فهو يحمد الله على ما أصاب بني لحيان من خزي مبين بعد أن نال منهم، وأوقع بهم؛ أي أن الله لديهم مستحق للحمد، على ما أنعم به عليهم من نعم مختلفة.

ومن أسمائه جلّ وعلا الدّالة على صفة الحمد (الحميد)، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [لقمان: 26]. وهو من أسماء الله الحسنى الواردة في حديث النبي ﷺ، ومن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، قيل في معناه: «هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله. وهو فعيل بمعنى مفعول، وهو الذي يحمد في السَّراء والضّراء، وفي الشّدة والرخاء، لأنه حكيم، لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو محمود على كل حال»[33].

4. العلم

علم الله ليس كعلم البشر قاصر ومحدود، وإنما هو علم شامل لجميع الأشياء والأمور، كبيرها وصغيرها، جليلها وحقيرها، ظاهرها وباطنها. قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: 98]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الملك: 26].

والعلم من الصفات التي أسندها الشعراء الجاهليون لله وأضافوها إليه، يقول الحارث بن حلّزة:

وفعلنَــا بِهِــمْ كَمَــا عَلِــمَ اللهُ ومَــا إنْ للحــائنينَ دمــاءُ[34]

32- كتاب شرح أشعار الهذليين، السّكري (أبو سعيد الحسن بن الحسين) حققه: عبد السّتّار أحمد فرّاج، راجعه: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د. ت، 354/1.

33- الأسماء والصفات، 101/1-102.

34- شرح المعلقات السبع، الزوزني (أبو عبد الله الحسين بن أحمد) مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1425هـ - 2004م، ص150. حان: هلك أو تعرض للهلاك.

ويقول الربيع بن زياد:

أقــولُ ولمْ أملــكْ لقــيسٍ نصــيحةً أرَى ما تَـرى واللهُ بالغيـبِ أعْلَـمُ[35]

ويقول زهير بن أبي سلمى:

فــلا تَكْــتُمنَّ اللهَ مــا فِــي نُفوسِــكُم لِيَخْفَــى وَمهمَــا يُكْــتَمِ اللهُ يَعلَــمِ[36]

فالحارث بن حلزة يذكر أنهم فعلوا بأعدائهم في إحدى المعارك «فعلاً بليغاً لا يحيط به علماً إلا الله»[37]، والربيع بن زياد يقرّ بأن الله هو الأعلم بالغيب، وينبّه قيس بن زهير إلى هذا الأمر، بعد أن أصرّ قيس على رأيه ولم يأخذ بنصيحته، أما زهير بن أبي سلمى، فيقرّ بأن الله يعلم ما تخفي الصدور، ويقول لذبيان والأحلاف من أسد وغطفان وطيّء: لا تضمروا خلاف ما تظهرون، وتكتموا في أنفسكم الصلح وتقولوا لا حاجة لنا به مكراً وخداعاً، فالله يعلم كل ما أُخفيَ وكُتم.

إن إقرار هؤلاء الشعراء بما يدلّ على اتّصاف الله بصفة العلم، لم يكن من جانب واحد فقط، وإنما كان من جوانب عدة؛ الأول: العلم بأحوال الخلق خيرها وشرّها. الثاني: العلم بالغيب؛ أي: بما كان وبما سيكون. الثالث: العلم بحقيقة النوايا وما تخفي الصدور.

وصفة العلم مرتبطة بأسماء الله: (العليم) و(العلاَّم) وهما من الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله، و(العالم) وهو من الأسماء التي تتبع إثبات الإبداع والاختراع له جلّ وعلا[38]. قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 71] وقال أيضاً: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: 78]. وقال كذلك: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: 22]. والعليم من أسماء الله

35- العقد الفريد، ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الأندلسي) تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، د. ت، 17/6.

36- شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق: فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1400هـ - 1980م، ص18. الأحلاف: أسد وغطفان وطيّء.

37- شرح المعلقات السبع، ص150.

38- ينظر: الأسماء والصفات، 1/44-45، 80-82.

الحسنى الواردة في حديث النبيﷺ.

5، 6. الإرادة والمشيئة

الإرادة نوعان: كونية ترادف المشيئة؛ وهي تتعلق بكل ما يشاء الله فعله وإحداثه، وشرعية تتعلق بما أمر الله به عباده مما يحبّه ويرضاه[39]. ونوع الإرادة المعني هنا هو الإرادة الكونية المرادفة للمشيئة.

والإرادة والمشيئة هما من صفات الله الثابتة بصريح الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 93]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: 14].

ومما دلّ على صفة الإرادة والمشيئة وجمع مع اسم الجلالة، قول المتلمس الضبعي:

وهلْ لي أمٌّ غيرُها إن تركتُها؟ أبَى اللهُ إلاّ أنْ أكونَ لهَا ابْنمَا[40]

وقول الحارث بن كعب:

فَلمَّا أرادَ اللهُ رُشدِي وزُلفتي أنارَ سبيلَ الحقِّ لي وهدانِيَا[41]

وقول الربيع بن أبي الحقيق:

يريدُ المرءُ أنْ يلقَى نعيماً ويأبَى اللهُ إلاّ ما يشاءُ[42]

39- ينظر: شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، د. ت، ص20.

40- ديوانه، شرح وتحقيق: محمد التونجي، دار صادر، بيروت، ط1، 1998م، ص142. ابنما: أراد ابنا والميم زائدة.

41- وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود، دعبل بن علي الخزاعي، رواية: علي محمد بن دعبل الخزاعي، ص42، نقلاً عن المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.

42- كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، الخالديان (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد) حققه وعلّق عليه: السيد محمد يوسف، دار الشام للتراث، بيروت، د. ت، 72/1.

فالمتلمس الضبعي يذكر أنه لا يستطيع أن يترك أمّه الوحيدة التي ليس له غيرها، ويقرّ بأن إرادة الله ومشيئته قضت بأن يكون ابناً لها، والله هو الذي أراد رشد الحارث بن كعب ورفع درجته ومنزلته، ولهذا أضاء له طريق الحق وهداه إليه، والمرء في بيت الربيع بن أبي الحقيق يريد أن يلقى النعيم، لكن الله يأبى إلا نفاذ مشيئته، سواء وافقت ما يحبه الإنسان، أم لم توافقه.

وإرادة الله ومشيئته كما عبر هؤلاء الشعراء، هي التي قضت بما سيكون عليه حال الإنسان على هذه الأرض، بداية بنسبه وابن من يكون، ثم بوضعه الديني بهدايته إلى طريق الحق أو عدم هدايته، ووضعه الاجتماعي بما يلقاه من نعيم، أو يطاله من تعب وشقاء.

7. التَّقدير

التّقدير من القَدْر والقَدَر، وهما بمعنى القضاء والحكم، وهو ما يقدّره الله من القضاء ويحكم به من الأمور. والقَدَرُ: القضاءُ الموفَّق. يقال: قدَّر اللهُ كذا تقديرا[43].

وصفة التقدير ثابتة لله جلّ وعلا، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2]. وقال أيضاً: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38]. وهي صفة مرتبطة بعدد من الصفات الإلهية الأخرى كالخلق.

ومما دلّ على صفة التقدير وجمع مع اسم الجلالة في الشعر الجاهلي، قول عنترة:

إذَا كانَ أمرُ اللهِ أَمْراً يُقَدَّرُ فَكيفَ يَفرُّ المرءُ منهُ ويحذرُ[44]

وقول ثعلبة بن عمرو المعروف بابن أم حزنة:

43- ينظر: لسان العرب: (قدر).

44- ديوانه، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1425هـ - 2004م، ص116.

عتـادُ امـرئٍ فيِ الحـربِ لا واهـن ولا هـو عمَّـا يقـدرُ الله صـارفُ[45]

وقول الحصين بن حمام:

أمـــورٌ مـــن اللهِ فـــوقَ السَّـــماءِ مقـــاديرُ تَنـــزلُ أَنْزَالَهـــا[46]

فعنترة بن شداد يفتتح إحدى قصائده بهذه الحكمة التي مفادها: إن أحوال الإنسان تسير وفق أمر الله الذي قدّره، ومن ثم لا ينبغي للإنسان أن يفرّ منه أو يحذر لأنه لا محالة متحقق، وثعلبة بن عمرو يقول مفتخراً بعد أن تحدث في الأبيات التي سبقت هذا البيت عن درعه ورمحه وقوسه وسيفه: هن عتاد رجل قوي ومقدام في الحرب، مستهين بالموت، لأنه يعلم عدم إمكانية ردّ الموت إذا قدّره الله، والحصين بن حمام افتخر -في الأبيات التي سبقت هذا البيت- بشعره وكرمه، وتلبيته لدعوة المستغيث، وصبره على الشدائد، وشجاعته وإقدامه في الحرب، وذكر أنّه لم يبق من هذه الأشياء إلا التّقى ونفس تعالج الموت، وقال في هذا البيت: إن هذه أمور مقدّرة من عند الله تنزل منازلها، ولا بدّ من نفاذها.

فتقدير الله كما عبَّر هؤلاء الشعراء أمر لا بدّ من تحققه، فهو من ناحية لا ينفع معه فرار أو حذر، ومن ناحية ثانية لا قدرة على ردّه أو وقفه، ومن ناحية ثالثة لا مجال فيه للتغيير أو التبديل، أو الزيادة أو النقص.

8. أهل التقوى

التقوى بمعنى الحذر، ومعنى أهل التقوى: أنه سبحانه أهل أن يتقى عقابه[47]. وصفة أهل التقوى من الصفات المركبة الثابتة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: 56].

45- المفضليات، المفضل الضبِّي (المفضّل بن محمد بن يعلى) تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط8، د. ت، ص282. العتاد: العدّة. يقدر: يقدّر. صارف: راد.

46- كتاب الأغاني، 16/14.

47- ينظر: لسان العرب: (وقى).

ومما يدل على اتصاف الله ﷻ بأنه أهل التقوى، وجاء على ألسنة الشعراء الجاهليين، قول المتلمس الضبعي:

وأعلمُ علمَ حقٍّ غيرُ ظنٍ وتقوَى اللهِ من خيرِ العتادِ[48]

وقول المسيب بن علس:

ألا تتّقونَ اللهَ يا آل عامرٍ وهل يتقي اللهَ الأبلُّ المصمَّمُ[49]

فتقوى الله في بيت المتلمس الضبعي هي خير عدة يعتدّ بها الإنسان، وفي بيت المسيب بن علس هي ما يطالب به آل عامر، لكنه يقرر بطريق الاستفهام الإنكاري عدم استجابتهم لطلبه، ويصف حالهم بحال الفاجر الذي لا يدرك ما عنده من اللؤم وقد أصمّه الله.

إذا التقوى كما عبّر هؤلاء الشعراء، لا تكون إلا لمن هو أهل لها، وهو الله ﷻ، وهي خير عدّة يعتدّ بها الإنسان، وهي أمر ينبغي على الإنسان أن يطلبه من غيره، وأنها من صفات أهل الرأي والصلاح وليست من صفات الفجّار أو اللئام.

9. الحقّيّة

الحقيّة المطلقة صفة من صفات الله مشتقة من اسمه (الحقّ)، الوارد في حديث النبي ﷺ ضمن أسماء الله الحسنى، وهو من الأسماء التي تتبع إثبات الباري والاعتراف بوجوده[50]، قال تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ [يونس: 32]. يقول زهير بن أبي سلمى فيما يدل على إثبات هذه الصفة مسندا إلى اسم الجلالة:

بدا لي أنَّ الله حقٌّ فزادني إلى الحقِّ تقوى اللهِ ما كانَ باديَا[51]

48- ديوانه، ص81. العتاد: العدة.

49- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي (عبد القادر بن عمر) تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1420هـ -2000م، 83/10.

50- ينظر: الأسماء والصفات، 23/1، 33.

51- شعر زهير بن أبي سلمى، ص168.

فزهير في هذا البيت يذكر لنا ما ظهر لديه واتّضح عنده، وهو أن الله حقٌّ، وهذا زاد من وضوح الحق لديه، ومن تقوى الله في نفسه، وهذا يدل على أن الناس في تلك الفترة منقسمين بين من يرى أن الله حق، وبين من لا يرى ذلك، وأن من بينهم من كان يبحث عن الحقيقة، وعن الإله الحق، وأن من بين الباحثين من أنار الله بصيرته وهداه إلى الحق.

10، 11. السمع والبصر

السمع والبصر صفتان ثابتتان في كتاب الله، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: 1]. وقال أيضاً: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: 14]. و(السميع) و(البصير) من أسماء الله الحسنى الواردة في حديث النبي ﷺ، وهما من الأسماء التي تتبع نفي التشبيه عن الله[52]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: 20].

يقول قيس بن الحدادية فيما يدل على إثبات صفتي السمع والبصر لله:

وقد جَاورتنا في شهورٍ كثيرةٍ فَما نَوَّلَتْ واللهُ راءٍ وسامعُ[53]

فالله كما عبّر قيس راءٍ وسامع لما كان بينه وبين صاحبته، من عدم حصوله على شيء منها رغم مجاورتها لهم في شهور كثيرة؛ أي أن الله يرى ويسمع ما يحدث بين عباده، سواء أكان خيراً أم شراً.

12. الهيمنة

الهيمنة صفة من صفات الله ﷻ، مشتقة من اسمه (المهيمن) وهو من أسماء الله الحسنى الواردة في حديث النبي ﷺ ومن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه[54]، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: 23].

52- ينظر: الأسماء والصفات، 23/1، 78-80.
53- كتاب الأغاني، 147/14. نوّلت: أعطت.
54- ينظر: الأسماء والصفات، 23/1، 107-108.

تقول صفية بنت ثعلبة فيما يدل على وصف الله بصفة الهيمنة:

واللهُ يجزيـــكَ الّـــذي أرســـلتَهُ إنَّ المهـــيمنَ واصـــلٌ منّـــان[55]

فصفية بنت ثعلبة في هذا البيت دلت على وصف الله بصفة الهيمنة من خلال إطلاقها اسم (المهيمن) عليه جلّ وعلا، إضافة إلى وصفه بصفات: المجازاة والوصل والمنّ.

وفي اللسان عن معنى المهيمن خمسة أقوال: «قال ابن عباس: المهيمن المؤتمن، وقال الكسائي: المهيمن الشهيد، وقال غيره: هو الرقيب ... وقال أبو معشر: ومهيمنا عليه، معناه: وقبّاناً عليه، وقيل: وقائماً على الكتب»[56].

ثانياً: صفات الكمال الثبوتيّة الفعلية

صفات الكمال الثبوتية الفعلية التي جمع الشعراء الجاهليون بينها وبين اسم الجلالة في شعرهم كثيرة، أبرزها:

1. المجازاة

قال ذو الإصبع العدواني:

اللهُ يعلمـــــــني واللهُ يَعلمكـــــــمْ واللهُ يجـزيكمْ عنِّـي ويجـزيني[57]

وقال النابغة الذبياني:

ولكـــنْ لاَ تُخـــانُ الـــدهرَ عنـــدِي وعنـــدَ اللهِ تَجزِيـــةُ الرِّجـــالِ[58]

فالله في بيت ذي الإصبع العدواني يعلم حال الشاعر وموقفه من الحرب

55- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمعه ورتّبه ووقف على طبعه: بشير يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، ط1، 1352هـ - 1934م، 14/1.

56- لسان العرب: (همن).

57- المفضليات، ص162.

58- ديوانه، شرح وتقديم: عباس عبد الستّار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ - 1984م، ص61. لا تخان: لا يمكن خيانتك.

الدائرة بين أبناء قومه بني عدوان، ويعلم حال أبناء قومه وموقفهم من هذه الحرب، وهو الذي يجزيهم عنه، ويجزيه عنهم، والله في بيت النابغة هو من عنده تجزية الرجال، ولهذا ذكر في صدر البيت أنه لا يخون ممدوحه النعمان بن المنذر.

والمجازاة صفة من صفات الله الفعلية، قال تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [إبراهيم: 51].

2. التّفضيل

قال عدي بن زيد:

أجـــلَّ إنَّ الله قَـــدْ فَضَّـــلكم فَـوقَ مـنْ أَحْكـأَ صُـلباً بِـإزارْ[59]

وقال قراد بن حنش:

وذَلـــكَ أنَّ اللهَ فضَّـــلَ مازِنـــاً وبدراً على ذبيانَ بالفضلِ أجمعَـا[60]

فالله في بيت عدي بن زيد، هو من فضّل الملك النعمان على بقية الناس، وجعله فوق كل من شدَّ ظهره بإزار، وهو في بيت قراد بن حنش من فضّل بني مازن وبني بدر على بني ذبيان بكل أنواع الفضل.

والله ﷻ كما جاء في القرآن الكريم هو من يفضّل بعض الناس على بعض قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾ [النحل: 71].

3. العطاء

قال النابغة الذبياني:

ألمْ تـــر أنَّ الله أَعْطـــاكَ ســـوْرةً تَـرى كـلَّ ملـكٍ دونهَـا يَتَذبْـذبُ[61]

59- شعراء النصرانية في الجاهلية، 454/4، أحكأ: شدّ. الصلب: الظهر.

60- شعر غطفان في الجاهلية وصدر الإسلام، جمع وتحقيق ودراسة: إبراهيم النعانعة، دار جرير، عمّان، ط1، 1428هـ - 2007م، ص485. مازنا: هو مازن بن فزارة. وبدر: هو بدر بن عمر.

61- ديوانه، ص28، سورة: مكانة ومنزلة. يتذبذب: يحاول الوصول إليها بشتى الطرق.

وقال أيضاً:

لهـمْ شـيمةٌ لـمْ يُعطهَـا اللهُ غيرَهـمْ منَ الْجُودِ والأَحلامِ غيرُ عَـوازِبِ[62]

فالله في بيت النابغة الأول، هو الذي أعطى النعمان بن المنذر المكانة العالية، والمنزلة الرفيعة، حتى أصبح يرى غيره من الملوك دونه في المكانة والمنزلة، يتحركون ويضطربون محاولين بلوغ ما بلغه، والوصول إلى ما وصل إليه، والله في بيت النابغة الثاني هو من أعطى آل عمر بن الحارث الأصغر صفة كريمة تلازمهم، لم يعطها غيرهم من الناس، تتمثل في الجود ورجاحة العقل.

والعطاء صفة من صفات الله، قال تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص: 39]. و(المعطي) اسم من أسمائه التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه[63].

4، 5. الرّفع والخفض

قال مقاس العائذي:

إذَا وضـــعَ الْهزاهِـــزُ آلَ قـــومٍ فـــزادَ اللهُ آلكـــمُ ارتفاعَـــا[64]

وقال زهير بن أبي سلمى:

ولـيسَ لمـنْ لمْ يركـبِ الهـولَ بغيـةً ولـيسَ لِرَحْـلٍ حطَّـهُ اللهُ حامـلُ[65]

فالله في بيت مقاس العائذي هو من زاد بني شيبان ارتفاعاً في القدر والمنزلة عند تعرضهم للشدائد، في حين تضع الشدائد من أقدار ومنازل الآخرين، أما الله في بيت زهير، فهو الخافض لمنزلة الإنسان ومكانته، وهو إن خفضها فلا إمكانية ولا قدرة لأحد على رفعها.

والرفع والخفض صفتان من صفات الله ﷻ، مشتقتان من اسميه (الرافع)

62- نفسه، ص32، شيمة: صفة كريمة تلازمهم. الأحلام غير عوازب: العقول الراجحة.

63- ينظر: الأسماء والصفات، 128/1.

64- المفضليات، ص305. الهزاهز: الشدائد.

65- شعر زهير بن أبي سلمى، ص267. البغية: الطلب والقصد. الرحل: منزل الرجل ومسكنه وبيته. والمقصود هنا صاحبه.

و(الخافض) وهما من أسماء الله الحسنى الواردة في حديث النبي ﷺ، ومن الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، معناهما: المعلي للأقدار، والواضع منها[66]، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: 11].

6. الوقاية

قال أفنون التغلبي:

لعمرك ما يدري امرؤٌ كيفَ يتَّقِي إذَا لمْ يجعلْ لهُ اللهَ واقيَا[67]

وقال الحارث بن ظالم المرِّي:

أصابهمُ الدَّهرُ الختورُ بخترةٍ ومنْ لا يقِ اللهَ الحوادثَ يَعْثُرِ[68]

فالمرء في بيت أفنون التغلبي لا يدري كيف يتّقي المخاطر والمهالك إذا لم يعتمد على الله في الوقاية منها، والله في بيت الحارث بن ظالم هو الواقي من الحوادث، ومن لم يجعل له الله واقياً منها، فإنه لا محالة يعثر، وهذا ما حدث لقومه عندما خدعهم الدهر.

والوقاية صفة من صفات الله، قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: 11]. ومعنى الوقاية: «حفظ الشيء مما يؤذيه ويضرّه. يقال: وقيتُ الشيءَ أقيهِ وقايةً ووَقاءً»[69].

7. الكفاية

قال ذو الإصبع العدواني:

66- ينظر: الأسماء والصفات، 23/1، 128.

67- الشعر والشعراء، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) دار الثقافة، بيروت، د. ت، 332/1.

68- شعر غطفان في الجاهلية وصدر الإسلام، ص445. الخترة: الخديعة.

69- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد بن المفضّل) تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط3، 1423هـ - 2002م، ص881: (وقي).

ولا يُـرى فِـيَّ غـيرَ الصـبرِ منقصـةً ومَـا سِـواهُ فـإنَّ اللهَ يَكفينِـي[70]

وقال عاجنة الهمداني:

كَفَـانِي اللهُ بعـدَ السَّـيرِ إِنِّـي رأيتُ الخيرَ في السَّفَرِ القريبِ[71]

فالله هو من يعتمد عليه ذو الإصبع العدواني في أن يكفيه أمره من غير منقصة الصبر التي عرف بها، وهو في بيت عاجنة الهمداني من كفاه بعد السير لغرض التجارة والحصول على المال، لوقوعه على مال في طريقه قبل أن يصل إلى مكان تجارته.

والكفاية صفة من صفات الله، قال تعالى: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: 25]. قال الراغب الأصفهاني في معنى الكفاية: «الكفاية: ما فيه سدُّ الحلّة وبلوغُ المُرادِ في الأمرِ»[72]. و(الكافي) اسم من أسماء الله التي تتبع إثبات وحدانيته، وهو من أسماء الله الحسنى الواردة في حديث النبي ﷺ[73].

8. الإكرام

قال حنظلة بن أبي عفراء الطائي:

إنَّ شـــــــيبانَ قبيـــــــلٌ أكـــــــرمَ اللهُ رِجالـــــــهْ[74]

فالله في بيت حنظلة هو الذي أكرم رجال قبيلة شيبان. والإكرام صفة من صفات الله، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: 15]. و(الكريم) و(الأكرم) من الأسماء التي تتبع إثبات التدبير لله دون ما سواه، و(الكريم) من الأسماء الواردة في الرواية المشهورة لحديث أسماء الله

70- المفضليات، ص162.

71- مجمع الأمثال، الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1416هـ - 1996م، 118/2.

72- مفردات الفاظ القرآن، ص718: (كفى).

73- ينظر: الأسماء والصفات، 23/1، 38.

74- كتاب الأغاني، 414/23.

الحسنى، و(الأكرم) من الأسماء الواردة في رواية عبد العزيز بن الترجمان لحديث أسماء الله الحسنى[75]. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6]، وقال أيضاً: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: 3].

9. الإنعام

قال عمرو بن كلثوم:

إنَّ للهِ علينَـــــــــا نعمـــــــــاً ولأيـــديِنَا علَـــى النَّـــاسِ نعـــمْ[76]

فالله هو الذي أنعم على بني تغلب بنعم وفيرة. والإنعام صفة من صفات الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [النساء: 69]. ومعنى الإنعام « إيصالُ الإحسانِ إلى الغيرِ، ولاَ يقالُ إلاَّ إذَا كانَ الموصَلُ إليه من جنسِ الناطقينَ»[77].

10. الرِّزق

قال السموأل بن عادياء:

بل لِكلٍّ منْ رزقِهِ ما قَضَى اللَّـــهُ وإنْ حَكَّ أنْفُهُ المُستَمِيتُ[78]

فالله كما يقول السموأل هو الذي قضى لكل إنسان رزقه في هذه الحياة، لا يُنقص منه ولا يُزاد عليه، وإن قطع أنفه المخادع، أو الذي يذهب في طلبه كل مذهب.

والرزق صفة من صفات الله، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: 6]. قال الراغب الأصفهاني في معنى الرزق: « الرزقُ يقالُ للعطاءِ

75- ينظر: الأسماء والصفات، 23/1، 26، 92-94.

76- ديوانه، تقديم وترتيب وشرح: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب، ط1، 1419هـ - 1999م، ص73. الأيدي هنا مجاز مرسل فهي بمعنى الجود بالأيدي.

77- مفردات ألفاظ القرآن، ص815: (نعم).

78- الأصمعيات، الأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قريب) تحقيق: قصي الحسيني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1998م، ص45.

الجاري، تارةً دنيويّاً كانَ أمْ أخرويّاً، وللنصيبِ تارةً، ولمَا يصلُ إلى الجوفِ ويُتَغذَّى بهِ تارةً»[79].

و(الرازق) و(الرزَّاق) هما من أسماء الله التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، و(الرزّاق) من أسماء الله الحسنى الواردة في حديث النبي ﷺ[80].

11. الإغناء

قال حبال بن حسل:

فنَاهِبِنِي فِي مالِي ولاَ تَدعِي خُلقاً يُريبُكِ إنَّ الله يُغْنِيني[81]

فالله كما عبّر حبال بن حسل هو المغني للإنسان، ولذا فهو يطلب من امرأته أن تطرد الشك من نفسها، وتأخذ ما تشاء من ماله نهباً.

والله ﷻ هو الذي يغني الإنسان من الفقر، والإغناء صفة من صفاته، قال تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: 32]. و(المغني) اسم من أسماء الله الحسنى الواردة في حديث النبي ﷺ، وهو من الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه[82]. ومعنى المغني: «السخي الجواد ذو الفضل والإحسان، والطول والإنعام، يغني العبد حتى لا يخشى الفقر، ويغني النفس حتّى ترضى»[83].

12. الْبسط

قال النابغة الذبياني:

فلمَّا رأَى أن ثمَّر اللهُ مالهُ وأثلَّ موجوداً وسدَّ مَفاقِرهْ[84]

79- مفردات ألفاظ القرآن، ص351: (رزق).

80- ينظر: الأسماء والصفات، 23/1، 111.

81- شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد محمد علي عبيد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999م، ص146. ناهبيني: خذي ما شئت من مالي نهباً.

82- ينظر: الأسماء والصفات، 23/1، 145.

83- ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، ص58.

84- ديوانه، ص120. ثمَّر: كثّر. أثلّ: أصّل وثبّت. سدّ مفاقره: أثراه وأغناه.

فالله على حدّ تعبير النابغة هو الذي بسط الرزق للرجل الذي واثق الحية، فهو الذي كثَّر ماله، وأصّل الموجود منه وثبَّته، وأثراه وأغناه.

والله ﷻ هو الذي يبسط الرزق للإنسان، والبسط صفة من صفاته، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥ ﴾ [العنكبوت: 62]. و(الباسط) من أسماء الله الحسنى الواردة في حديث النبي ﷺ، وهو من الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، قيل في معناه: « إنه الناشر فضله على عباده، يرزق، ويوسع، ويجود، ويفضّل، ويمكّن، ويجزل، ويعطي أكثر مما يحتاج إليه »[85].

13. الإبلاء

قال زهير بن أبي سلمى:

رأى الله بالإحسانِ ما فعلاَ بكم فأبلاهُمَا خيرَ البلاءِ الَّذي يبلو[86]

فالله في بيت زهير هو الذي أبلى الحارث بن عوف وهرم بن سنان خير البلاء، لمّا رأى فعلهما الحسن، والإبلاء صفةٌ من صفات الله، قال تعالى: ﴿وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: 17]. ومعنى الإبلاء: « الإنعام والإحسان. يقال: بلوت الرجل وأبليت عنده بلاءً حسناً. وفي حديث كعب بن مالك: ما علمت أحداً أبلاه الله أحسنَ ممَّا أبلاني »[87].

14. الهداية

قال الحارث بن كعب:

فلمَّا أرادَ اللهُ رُشدي وزُلفتِي أنارَ سبيلَ الحقِّ لِي وهَدانيَا[88]

فالله هو الذي هدى الحارث بن كعب، وأضاء له طريق الحق، لأن الله أراد

85- الأسماء والصفات، 109/1.
86- شعر زهير بن أبي سلمى، ص40.
87- لسان العرب: (بلا).
88- وصايا الملوك وأنباء أبناء الملوك من ولد قحطان بن هود، ص42.

رشده ورفع درجته ومنزلته.

والهداية صفة من صفات الله ﷻ، قال الله في محكم كتابه العزيز: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: 43]. وهداية الله للإنسان على أربعة أوجه: الأول: الهداية التي عمَّ بجنسها كل مكلف من العقل، والفطنة، والمعارف الضرورية. الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إيّاهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن وغير ذلك. الثالث: التوفيق الذي يختصّ به من اهتدى. الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنّة[89].

و(الهادي) اسم من أسماء الله الحسنى الواردة في حديث النبي ﷺ، وهو من الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه[90].

15. الإصلاح

قال طفيل الغنوي:

لَعمْري لَقدْ خلّى ابنُ خَيدعَ ثُلمةً فَمنْ أينَ -إنْ لمْ يرأبِ الله- تُرأَبُ[91]

فطفيل يقرّ بأن لا أحد غير الله يصلح الفرجة أو الخلل الذي تركه ابن خيدع بعد موته.

والإصلاح صفة من صفات الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70-71]. والإصلاح: نقيض الإفساد، وإصلاح الشيء بعد فساده: إقامته[92].

16. التّيسير

قال الشنفرى:

89- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص835-836: (هدى).

90- ينظر: الأسماء والصفات، 23/1، 134-138.

91- ديوانه، شرح: الأصمعي، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م، ص55. خلّى: ترك. الثلمة: الفرجة والخلل. الرأب: الإصلاح.

92- ينظر: لسان العرب: (صلح).

أُبَغـيٍّ بَـني صَـعْبِ بـن مُـرٍّ بلادَهـم وسـوفَ أُلاَقـيهم إن الله يَسَّـرا[93]

فملاقاة الشنفرى لبني صعب بن مرّ -كما قال في بيته- مرهونة بتيسير الله. والتيسير صفة من صفات الله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: 17]، وهو ضد التعسير. جاء في اللسان: «وتَيسَّر الشيء واستيسَرَ: تسهَّلَ. ويقال: أخذ ما تيسَّر وما اسْتيسرَ، وهو ضدّ ما تعسّر والتوَى»[94].

17. السَّتر

قال السموأل بن عادياء:

كَنَّهـــا اللهُ فِـــي مكـــانٍ خفـــيٍّ وَخفِـــيٌّ مكانُهَـــا لـــو خَفيـــتُ[95]

فالله في بيت السموأل هو الذي ستر نطفة الإنسان في مكان خفي، والستر صفة فعلية ثابتة بالسنة الصحيحة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلُّ أُمَّتي معافَى إلاَّ المجاهرينَ، وإن من المجاهرة أن يعملَ الرَّجلُ بالليل عملاً، ثمَّ يصبحَ وقدْ ستَره اللهُ عليه، فيقولَ: يا فلانُ، عملتُ البارحةَ كَذا وكَذَا، وقدْ باتَ يستره ربُّه، ويصبحُ يكشِفُ سترَ الله عنه»[96].

18. الأمن

قالت سبيعة بنت الأحبّ:

الله آمنهـــــــا ومـــــــا بُنيـــت بِعرْصـــتها قُصـــورْ

93- شعر الشنفرى الأزدي، تحقيق ودراسة: أحمد محمد عبيد، المجمّع الثقافي، أبو ظبي، 1421هـ - 2000م، ص95.

94- لسان العرب: (يسر).

95- الأصمعيات، ص45.

96- صحيح البخاري، البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م، باب ستر المؤمن على نفسه، حديث رقم 6069، 4/102-103.

واللهُ آمـــــــــنَ طيرَهـــــــــا والعصـــمُ تـــأمنُ في ثـــبير[97]

فالله في بيتي سبيعة هو الذي آمن مكة، وآمن طيرها، وجعل الوعول آمنة في جبل ثبير الواقع بها. فآمن هنا اسم فاعل بمعنى مانح الأمن والأمان، وهو ضد الخوف.

والأمن بهذا المعنى صفة من صفات الله، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ﴾ [قريش: 3-4].

19. الجمع

قال قيس بن الحدادية:

لا تَعـذليني سـلمى اليـومَ وانْتظـري أنْ يجمعَ اللهُ شملاً طالمَا افترقا[98]

فالله هو من يرجوه قيس بن الحدادية في أن يجمع شمله بأهله بعد طول افتراق، ولهذا طلب من زوجته عدم لومه على البعد، وانتظار ذلك اليوم.

والجمع صفة من صفات الله تعالى، ويقصد به جمع المتماثلات، والمتفرّقات، والمتباينات، والمتضادات، قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 29]. و(الجامع) اسم من أسماء الله الحسنى الواردة في حديث النبي ﷺ، وهو من الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه[99].

20. الإسقاء

قالت رقية بنت عبد المطلب:

97- السيرة النبوية، ابن هشام (أبو محمد عبد الملك الحميري) حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها: مصطفى السّاقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت، 26/1. العرصة: البقعة من الدور واسعة. العصم: الوعول لاعتصامها في الجبال.

98- كتاب الأغاني، 143/14.

99- ينظر: الأسماء والصفات، 23/1، 139-140.

بشـــيبةِ الْحمـــدِ أَسْـــقى اللهُ بلـــدتنَا وقَدْ فقدنَا الْحيَا واجلوَّذَ الْمطـرُ[100]

فالله في بيت رقية هو الذي أسقى مكة حين استسقى أهلها بعبد المطلب بن هاشم بعد أن فقدوا الخصب، وطالت فترة انقطاع المطر.

و(الإسْـقاء) و(السَّـقْيُ) مـن صـفات الله، قـال تعـالى: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُمْ مَّآءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: 27]، وقال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21]. و(الإسـقاء) أبلـغ من (السقي)، قال الراغب في التفريق بينهما: «السَّقيُ والسُّقيا أنْ يعطيه مـا يشـرب، والإسقاءُ: أنْ يجعلَ لهُ ذلك حتى يتناولَه كيفَ شاءَ، فَالإسـقاءُ أبلـغُ مـن السَّـقي لأن الإسقاءَ هوَ أن تجعلَ لهُ ما يَسقِي منهُ ويشربَ»[101].

21. الدِّفاع

قال قيس بن عيزارة:

وقـــالوا لنـــا البلـــهاءُ أوَّلَ سُـــؤْلَةٍ وأَعْراسُـــهَا واللهُ عنِّـــي يُـــدافِعُ[102]

فالله في بيت قيس هو من يدافع عنه، ويحفظه من الوقوع في أسر أعدائه الذين يريدون أسره، وأخذ ناقته البلهاء.

ومن صفات الله ﷻ الدفاع عمن يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: 38]، والدفاع مصدر من الفعل دافع يدافع، تقول: دفع الله عنك المكروه دفعاً، ودافع الله عنك السوء دفاعاً[103].

22. الْعَصْم

قال زهير بن أبي سلمى:

100- شعر بني كنانة في الجاهلية وصدر الإسلام، جمع وتحقيق ودراسة: إبراهيم النعانعة، دار جرير، عمّان، ط1، 1428هـ - 2007م، ص627. شيبة الحمد: عبد المطلب بن هاشم. الحيا: الخصب. اجلوّذ المطر: ذهب وامتد وقت تأخره وانقطاعه.

101- مفردات ألفاظ القرآن، ص415: (سقى).

102- كتاب شرح أشعار الهذليين، 590/2. البلهاء: ناقة الشاعر. أعراسها: أصحابها وألاَّفها.

103- ينظر: لسان العرب: (دفع).

ومـن ضَـريبتهِ التَّقـوى ويعصـمه من سَيِّءِ العثَـراتِ اللهُ والـرَّحِمُ[104]

فالله والرحم في بيت زهير بن أبي سلمى هما من يمنعا ويقيا هرم بن سنان -الذي عرف بصفة التقوى- من ارتكاب الرذائل والمنكرات.

والعصم بمعنى المنع والوقاية، جاء في اللّسان: «العصمة في كلام العرب: المنع. وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه. عصمه يعصمه عصماً: منعه ووقاه»[105].

والعصم من صفات الله، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: 67].

23، 24. التَّمُّ - النَّصرُ

قال النابغة الذّبياني:

وَربَّ عليـهِ اللهُ أَحسـنَ صُـنعه وكـانَ لـهُ علـى البريَّـة ناصِـرَا[106]

فالله في بيت النابغة هو الذي أتمَّ على النعمان بن المنذر أحسن صنعه، وهو الذي كان له ناصراً على البرية، فربَّ هنا بمعنى: أَتمَّ.

والتَّمُّ: «مصدر تمَّ الله النعمة: أي أتمها»[107]، والتّمُ والنصر من صفات الله تعالى، قال جلَّ شأنه: ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [الفتح: 2]، وقال أيضاً: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: 160]. و(النَّاصر) و(النَّصير) من أسماء الله التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه[108].

104- شعر زهير بن أبي سلمى، ص112. الضريبة: الخليقة.

105- لسان العرب: (عصم).

106- ديوانه، ص48.

107- إكمال الأعلام بتثليث الكلام، ابن مالك الجياني (أبوعبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله) تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1404هـ - 1984م، 84/1.

108- ينظر: الأسماء والصفات، 117/1.

25، 26. الوَصْلُ – المنُّ

قالت صفيّة بنت ثعلبة الشيبانية:

واللهُ يجزيـــكَ الّـــذي أرســـلتَه إنَّ المهـــيمنَ واصـــلٌ مَنَّـــانُ[109]

فصفيّة في هذا البيت وصفت المهيمن، وهو الله ﷻ بأنه واصل منّان، من الوصل والمنّ، والوصل في اللغة: ضد الهجران، وهو خلاف الفصل، والمنُّ: إحسان المحسن غير معتدّ بالإحسان، ولا يطلب الجزاء عليه[110].

والوصل والمنّ صفتان من صفات الله الفعلية؛ الأولى: ثابتة بالسنة النبوية، لقول الرسول ﷺ: « الرَّحمُ معلَّقةٌ بالعرشِ تقولُ: مَن وَصَلَني وَصَلَهُ اللهُ، ومن قطعني قطعَهُ اللهُ »[111]. والثانية: ثابتة بالقرآن الكريم، لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: 11].

و(المنَّان) من الأسماء الواردة في رواية ابن الترجمان لحديث أسماء الله الحسنى، وهو من الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه[112].

27. الإهْلاك

قال زهير بن أبي سلمى:

ألم تـــرَ أنَّ الله أهلـــكَ تُبّعـــاً وأهلكَ لقمانَ بن عادٍ وعاديَا[113]

فالله في بيت زهير هو الذي أهلك تبّعا، وأهلك لقمان بن عاد، وعادياء، والد السموأل.

109- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، 14/1.

110- ينظر: لسان العرب: (وصل) و(منن).

111- صحيح مسلم، النيسابوري (أبو الحسين مسلم بن الحجاج) قدم له وصحّحه وشرح غريبه وخرّج حديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ - 1998م، باب صلة الرحم وتحريم قطعها، حديث رقم 2555، 167/4.

112- ينظر: الأسماء والصفات، 26/1، 110.

113- شعر زهير بن أبي سلمى، ص171.

والإهلاك صفة من صفاته جلّ وعلا، قال في محكم كتابه: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [القصص: 78].

28. الإجابة

قال عبيد بن الأبرص:

من يسأل النَّاسَ يحرموهُ وسائلُ اللهِ لا يخيبُ[114]

وقال امرؤ القيس السّكوني:

فما زلتُ أدعُو الله حتَّى استماهُما من العيْنِ جَوْنٌ ذُو عثانينَ مُسبلُ[115]

فالسؤال على رأي عبيد بن الأبرص لا يكون إلا لله، لأن من يسأل الناس يحرموه، ولا ينال منهم شيئاً، بينما لا يخيب سائل الله وطالبُ فضله. والدعاء في قول امرئ القيس السكوني لا يكون إلا لله، فهو الذي واضب على دعائه حتى استجاب له وأرسل لهما سحاباً أسوداً، غزير المطر، مصحوباً بالرياح والغبار.

وسؤال الله ودعاؤه يدل على اتصاف الله بصفة الاستجابة، إذ لو لم يكونوا يعتقدون باتصاف الله بهذه الصفة، لما سألوه نعمته وفضله، ولما دعوه أن يرسل عليهم من خيره. والإجابة صفة من صفات الله الثابتة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186]. و(المجيب) من أسماء الله الحسنى، الواردة في حديث النبي ﷺ، وهو من الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه[116].

أخيراً إن ورود اسم الجلالة (الله) وجمعه مع ما يدل على هذه الصفات في الشعر الجاهلي، لم يكن منحولاً أو محرّفاً من قبل الرواة، أو ممثلاً لعقيدة قبيلة معينة، أو فئة من الناس، وإنما يمثل ثقافة هؤلاء الشعراء، وثقافة المجتمعات التي

114- ديوانه، ص15.

115- منتهى الطلب من أشعار العرب، 345/8. استماهما: أرسل لهما. الجون: السحاب وهو بمعنى الأسود. العثانين: الغبار الذي تأتي به الرياح واحدها عثنون. المسبل: الذي يسبل مطره.

116- ينظر: الأسماء والصفات، 23/1، 113.

ينتمون إليها، والتي -في اعتقادي- تنوع تصورها لله وصفاته، وعلى أساسه وردت في شعر شعرائها.

فهو لدى البعض من تأثير بقايا ثقافة دين الحنفية الذي كان سائداً في المجتمعات العربية في فترات سابقة. فقد ذكر الألوسي: «أن العرب من عدنان وقحطان كانوا قبل ظهور عمرو بن لحيّ الخزاعيّ فيهم على بصيرة من أمرهم، يتعبدون بشريعة خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد تلقوها من ولده نبي الله تعالى إسماعيل عليه السلام وهي الحنفية التي جاء بها محمد ﷺ، فكانوا يعتقدون أن الله تعالى واحد، لا شريك له ولا وزير، ولا معين ولا ظهير، موصوف بصفات الكمال من الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام، وغيرها من الصفات التي أثبتها الله لنفسه في كتبه، وجاءت على لسان رسله»[117].

وللثقافة مجموعة من الخصائص والمميزات، من بينها: الانتقالية والتراكمية؛ أي أنها تنتقل من جيل إلى جيل، كل جيل يبني على أساس منجزات الجيل السابق، أو الأجيال السابقة، وبمرور العصور والأجيال تتراكم الثقافة ويحصل منها كم هائل، وأحياناً تُنسى بعض مظاهرها وعناصرها، وتُنسى الظروف التي أوجدتها، ولهذا يبقى الكثير من «الملامح والسمات التي تتمثل بوجه عام في العادات والتقاليد والعقائد والخرافات والأساطير تحتفظ بكيانها لعدة أجيال، لا لشيء إلا لأنها وجدت في وقت من الأوقات في المجتمع، فتظل موجودة حتى بعد أن يزول السبب الذي أدى إلى ظهورها في أول الأمر»[118].

وجمع اسم الجلالة مع ما يدل على بعض صفات الله لدى البعض الآخر، هو بتأثير الثقافة السائدة في عدد من المجتمعات العربية في ذلك العصر، والتي أقرّ أهلها بالخالق جلّ وعلا، وببعض صفاته، وهو أمر أشار إليه القرآن الكريم في العديد من الآيات القرآنية، منها: قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

117- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 194/2.

118- محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية، أحمد أبو زيد، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م، ص45-46.

وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: 61]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [الزخرف: 87]، وقوله: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: 31]. لكن مع ذلك فإن هذه الفئة أنكرت الرسل والبعث، وأحلّت وحرّمت ما بدى لها، وعبدت الأصنام وتقرّبت إليها بالمناسك والمشاعر، والهدايا والقرابين، واعتقدت بعبادة الأصنام عبادة الله والتقرب إليه بطرق مختلفة، فمنهم من قالوا بعدم أهليتهم لعبادة الله تعالى دون واسطة لعظمته، فعبدوا الأصنام لتقرّبهم إلى الله، وهم الذين قال عنهم في محكم كتابه العزيز: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: 3]. ومنهم من عبدوا الأصنام لتكون لهم شفعاء عند الله، وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: 18]، ومنهم من عبدوا الأصنام وجعلوها على هيئة الملائكة ليقربوهم إلى الله، لاعتقادهم بوجاهة الملائكة ومنزلتها عند الله، ومنهم من جعلوا الأصنام قبلة لهم في عبادتهم لله كما أن الكعبة قبلة في عبادته، ومنهم من عبدوها اعتقاداً منهم بأن على كل صنم شيطاناً موكلاً بأمر الله، فمن عبد الصنم حق العبادة، قضى الشيطان حوائجه بأمر الله، وإلا أصابه الشيطان بنكبة بأمر الله[119].

فهؤلاء أشركوا الأصنام مع الله ﷻ في العبادة، والتقرب بشتى القربات، لكن مع ذلك، فالله أعلى منها درجة، وبعبارة أخرى هو رب الأرباب والشركاء ومالكهم.

تقول نزار في تلبيتها عند إحلالها بالحجّ:

لبيك اللهم لبيك

لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك

تملكه وما ملك[120]

119- ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 2/197-198.

120- كتاب الأصنام، ابن الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد) تحقيق: أحمد زكي باشا، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب، سنة 1343 هـ-1924م، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، =

وجمع اسم الجلالة مع ما يدل على بعض صفات الله لدى فريق ثالث، هو بتأثير ثقافة الدين السماوي الذي يعتنقه البعض منهم، فقد كان من بينهم من يعتنق الحنفية، أو اليهودية، أو النصرانية، من أمثال: قس بن ساعدة، والسموأل بن عادياء، وعدي بن زيد، وغيرهم[121].

أما الفريق الأخير من الشعراء الذين ورد اسم الجلالة في شعرهم مع ما يدل على بعض صفات الله، فهو الفريق المتأثر بثقافة بعض المجتمعات المجاورة التي كان يتردد عليها الشعراء، وتربطهم بمجتمعاتهم بعض العلاقات أو المبادلات التجارية، ويدين أهل هذه المجتمعات باليهودية أو النصرانية، فقد كانت اليهودية في ثيماء، ويثرب، وخيبر، ودانت بها من القبائل العربية: بنو نمير، وبنو كنانة، وبنو الحارث بن كعب، وبنو كندة. وكانت النصرانية في بلاد الروم المجاورة لبلاد العرب، ودانت بها: ربيعة، وبعض قضاعة، والغساسنة بالشام، وكثير من تغلب، وتنوخ حمير، وطيء، وقبائل شتى بالحيرة[122].

ويلاحظ على الصفات أو الأسماء التي ذكرها الشعراء أو دلوا عليها، أنها من الصفات والأسماء المتعلقة بما له صلة وارتباط بحياة الناس وأحوالهم على الأرض، سواء أكانت دينية، أم اجتماعية، أم اقتصادية، أم غيرها. فأغلب الصفات هي صفات فعله جل وعلا، وأغلب الأسماء هي الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه، وفعله وتدبيره تظهر آثارهما على خلقه، وتؤثر في مجرى حياتهم؛ أي أنهم يميلون إلى الواقع والمشاهد، ولا يتجهون إلى المجرّد، أو إلى التفكير في الغائب والمجهول، وهذا أمر يتماشى مع الثقافة البدوية والقبلية، ولهذا لم يتعرض الشعراء الجاهليون، أو يدلّوا على العديد من الصفات؛ كالقدم، والبقاء، والسيادة، والملك، والكبرياء، والعظمة، والمحبّة، والظاهرية، والباطنية، والتجلّي، والاستواء على العرش، وغيرها.

ومع ذلك فإن هذه الصفات التي تناولها البحث، ليست هي الوحيدة التي دلّ

=

القاهرة، ط5، 1423هـ-2003م، ص7.

121- ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 2/244-281.

122- ينظر: أديان العرب في الجاهلية، ص256-263.

عليها الشعراء الجاهليون، وإنما هناك صفات أخرى ذكرها الشعراء، أو دلوا عليها دون جمعها باسم الجلالة، أو جاءت على ألسنة بعض الشعراء المخضرمين.

كما يلاحظ اعتماد الشعراء على الأسلوب، التقريري المباشر في الدلالة على هذه الصفات دون اللجوء إلى أسلوب التصوير؛ من تشبيه، أو استعارة، أو مجاز، أو غيرها، وهذا ربما يؤيد ما ذهب إليه الأصمعي في مقولته المشهورة التي تدل على الفصل بين الشعر والدين أو الأخلاق: «طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان»[123]. وذلك على اعتبار أن الدلالة على صفات الله من قبيل الشعر الديني أو شعر الحكم وهما من باب الخير.

وفي جميع الأحوال، فإن شيوع اسم الجلالة، وجمعه مع ما يدل على صفات الله في الشعر الجاهلي، هو في جوهره من الإرهاصات التي مهدت لظهور الإسلام، وهيأت العقول لقبول تعاليمه وشرائعه.

123- الموشح، المرزباني (أبو عبد الله محمد بن عمران) دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت، ص79.

المصادر والمراجع

كتاب الله العزيز القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

1. أثر المكونات الثقافية في بناء الصور البلاغية، محمد سليمان عبد الحفيظ، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1430هـ - 2009م.
2. أديان العرب في الجاهلية، محمد نعمان الجارم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1426هـ - 2006م.
3. الأسماء والصفات، البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين) حقق نصوصه وخرّج أحاديثه: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1417هـ - 1997م.
4. الأصمعيات، الأصمعي (أبو سعيد عبد الملك بن قريب) تحقيق: قصي الحسيني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1998م.
5. إكمال الأعلام بتثليث الكلام، ابن مالك الجياني (أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله) تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1404هـ - 1984م.
6. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، الألوسي (السيد محمود شكري) عني بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
7. الثقافة والشخصية، سامية حسن السّاعاتي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط4، 1422هـ - 2000م.
8. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي (عبد القادر بن عمر)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1420هـ - 2000م.
9. ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، 1401هـ - 1981م.
10. ديوان طفيل الغنوي، شرح: الأصمعي، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م.

11. ديوان عبيد بن الأبرص، تقديم وشرح وتعليق: محمد حمود، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 2000م.
12. ديوان عمرو بن كلثوم، تقديم وترتيب وشرح: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب، ط1، 1419هـ - 1999م.
13. ديوان عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1425هـ - 2004م.
14. ديوان المتلمس الضبعي، شرح وتحقيق: محمد التونجي، دار صارد، بيروت، ط1، 1998م.
15. ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الستّار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ - 1984م.
16. سنن ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد) صححه ورقمه وأخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.
17. سنن الترمذي، الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة)، تحقيق: مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث، القاهرة، 1426 هـ - 2005م.
18. السيرة النبوية، ابن هشام (أبو محمد عبد الملك الحميري) حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها: مصطفى السّقّا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
19. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمعه ورتّبه ووقف على طبعه: بشير يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، ط1، 1352هـ - 1934م.
20. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، د. ت.
21. شرح المعلقات السبع، الزوزني (أبو عبد الله الحسين بن أحمد) مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1425هـ - 2004م.
22. شعراء النصرانية في الجاهلية، جمعه ووقف على تصحيح طبعته الأولى: الأب لويس شيخو، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ت.
23. شعر بني كنانة في الجاهلية وصدر الإسلام، جمع وتحقيق ودراسة: إبراهيم النعانعة، دار جرير، عمّان، ط1، 1428هـ - 2007م.

24. شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق: فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1400هـ - 1980م.
25. شعر الشنفرى الأزدي، تحقيق ودراسة: أحمد محمد عبيد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1421هـ - 2000م.
26. شعر غطفان في الجاهلية وصدر الإسلام، جمع وتحقيق ودراسة: إبراهيم النعانعة، دار جرير، عمّان، ط1، 1428هـ - 2007م.
27. شعر قبيلة كلب حتى نهاية العصر الأموي، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد محمد علي عبيد، المجمّع الثقافي، أبو ظبي، 1999م.
28. الشعر والشعراء، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) دار الثقافة، بيروت، د. ت.
29. صحيح ابن حبّان بترتيب بن بلبان الفارسي (علاء الدين علي) حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1418هـ -1997م.
30. صحيح البخاري، البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ - 1998م.
31. صحيح مسلم، النيسابوري (أبو الحسين مسلم بن الحجاج) قدم له وصحّحه وشرح غريبه، وخرّج حديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ - 1998م.
32. الصفات الإلهية: تعريفها، أقسامها، محمد بن خليفة التميمي، أضواء السلف، الرياض، ط1، 1422هـ-2002م.
33. طبقات فحول الشعراء، الجمحي (أبو عبد الله محمد بن سلاَّم) قرأه وشرحه: أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د. ت.
34. العقد الفريد، ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الأندلسي) تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، د. ت.
35. كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، الخالديان (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد)، حققه وعلّق عليه: السيد محمد يوسف، دار الشام للتراث، بيروت، د. ت.

36. كتاب الأصنام، ابن الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد) تحقيق: أحمد زكي باشا، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب، سنة 1343 هـ-1924م، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط5، 1423هـ-2003م.
37. كتاب الأغاني، الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين) تحقيق وإشراف: نخبة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت، ط5، 1401هـ - 1981م.
38. كتاب شرح أشعار الهذليين، السّكري (أبو سعيد الحسن بن الحسين) حققه: عبد الستّار أحمد فرّاج، راجعه: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د. ت.
39. كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ - 1984م.
40. لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ - 1994م.
41. مجمع الأمثال، الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1416هـ - 1996م.
42. محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية، أحمد أبو زيد، دار النهضة العربية، بيروت، 1978م.
43. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد بن المفضّل) تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط3، 1423هـ - 2002م.
44. المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، د. م، د. ت.
45. المفضليات، المفضل الضبِّي (المفضّل بن محمد بن يعلى) تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط8، د. ت.
46. الملل والنحل، الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم)، تقديم وإعداد: عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1977م.
47. منتهى الطلب من أشعار العرب، ابن ميمون (محمد بن المبارك بن محمد)

تحقيق وشرح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 1999م.
48. منهج الإمام ابن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى، مشرف بن علي الغامدي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1426هـ - 2005م.
49. الموشح، المرزباني (أبو عبد الله محمد بن عمران) دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.
50. وصايا الملوك وأبناء الملوك من ولد قحطان بن هود، دعبل بن علي الخزاعي، رواية: علي محمد بن دعبل الخزاعي، ص42، نقلاً عن المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.
51. ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، جمع وترتيب: أحمد عبد الجواد. قرأه: فضيلة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود. دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ - 2001م.